مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد الرابع و العشرون / محرم - ربيع الأول ١٤٢٩ هـ ، فبراير - أبريل ٢٠٠٨م

٢٤

- الأحوال الاجتماعية والسكانية والاقتصادية والسياسية في المدينة المنورة قبيل غزوة الأحزاب
- المدينة المنورة في رحلة البلوي (دراسة وتحقيق)
- فهرس الرسائل الخطية الموجودة ضمن مجاميع مخطوطات مكتبة عارف حكمت (تاريخ عربي)
- من النباتات الطبية في المدينة المنورة (العرعر ، الصبر ، الحناء)

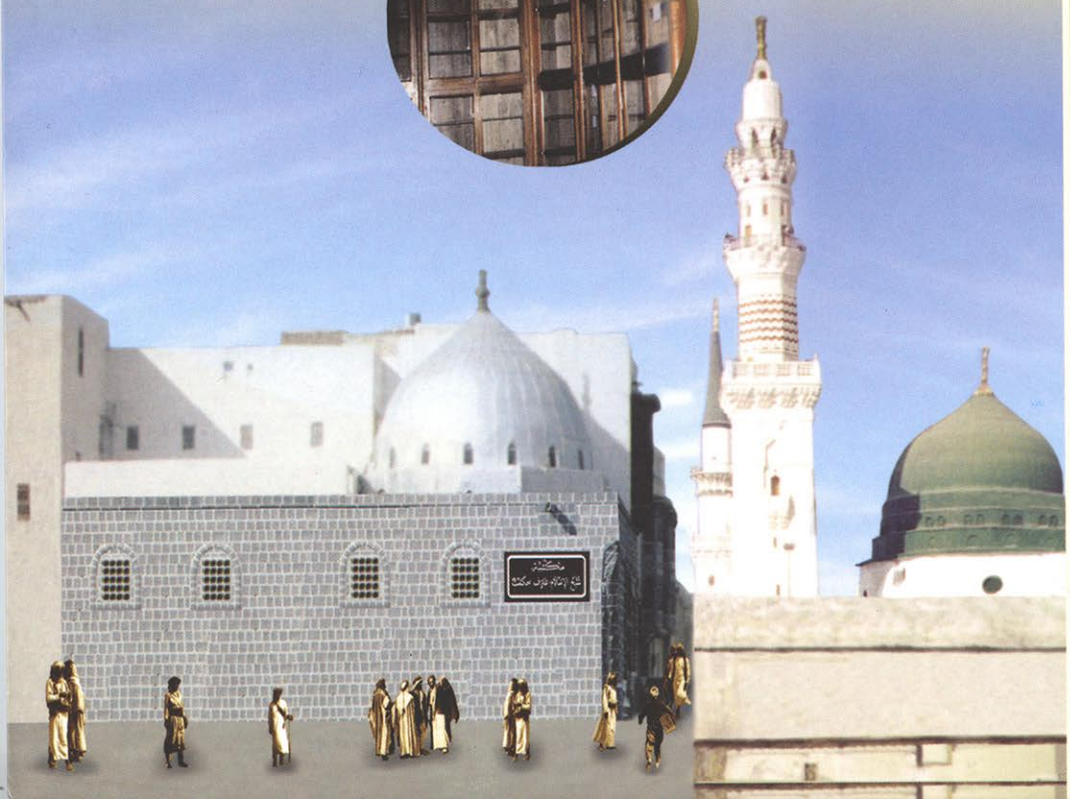

الأحوال الاجتماعية والسكانية والاقتصادية والسياسية للمدينة المنورة قبيل غزوة الأحزاب

القسم الأول

د. علي بن عائش المزيني
كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية

مُقَدِّمَة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد

فهذا بحث (**الأحوال الاجتماعية والسكانية والاقتصادية والسياسية للمدينة المنورة قبيل غزوة الأحزاب**). حيث تعتبر غزوة الأحزاب حدثاً بارزاً ومهماً في تاريخ عصر الرسالة في المدينة المنورة، فهي تمثل حداً فاصلاً بين مرحلتين من مراحل الدعوة الإسلامية في تلك الفترة : مرحلة الدفاع، حين كانت قريش تأخذ بزمام المبادرة، وتستهدف المسلمين في عقر دارهم، فيأخذ المسلمون الأهبة والاستعداد للدفاع عن أنفسهم، كما في بدر وأحد والخندق، وقد تمكن المسلمون في بعض فترات هذه المرحلة بفضل إيمانهم وصدق توكلهم على الله وثقتهم به وشجاعتهم في الصمود والدفاع، واستبسالهم في القتال طلباً للنصر أو الشهادة من تحقيق بعض أهدافهم، وتعد غزوة الأحزاب آخر حلقة من حلقات هذه المرحلة. ومرحلة الهجوم بدأت بعدغزوة الأحزاب، وقد تميزت بأنها ذات نطاق أوسع ومجال أرحب من

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فرض السيطرة وبسط النفوذ، بعد أن قويت شوكة المسلمين واشتد عودهم، وأصبحوا يمسكون بزمام المبادرة وحدهم، ويقررون أين ومتى يتجهون، وبمن يبدؤون، وهي مرحلة تنبئ عن تطور الأحداث إيجابياً لصالح المسلمين .

وفترة الدراسة لهذا الموضوع ربما يتوقع البعض أن تكون الأيام والأسابيع والأشهر القليلة قبيل الغزوة كما يشير إلى ذلك عنوان البحث ،وهي كذلك في الغالب، إلا أنها قد تمتد أحياناً لتشمل الخمس سنين الأولى من عمر الدعوة في المدينة، بسبب التسلسل الموضوعي والبناء الوحدوي للوقائع والأحداث، والتداخل الذي يقع بينها، حين يترتب بعضها على بعض، لتشكل وحدة موضوعية واحدة وإن اختلفت أزمانها، ولهذا فإن كلمتي (قبل وقبيل) هي من الألفاظ التي يكثر استعمالها في هذا البحث؛ لتعبر عن الأزمان ذات الصلة بموضوع الدراسة قرباً وبعداً .

كما أن التشريع في الشؤون المختلفة ومنها فروع هذا البحث لايزال مستمراً ولم يكتمل بعد مما يجعل الفصل الدراسي بين مراحل العصر الواحد محفوفاً بالعقبات و الصعاب، إلا أنه مع الاضطرار إليه لابد من أخذ ماقبلها وبعدها من أحداث التاريخ بعين الاعتبار أثناء الدراسة ولو تلميحاً، ومع هذا فإنني سأكتفي غالباً عند إيراد الشواهد التاريخية بما كان منها خاصاً بالفترة موضوع الدراسة وأصرف النظر عما سواها من حقب تاريخية .

وقبل الشروع في موضوع هذا البحث فإني أنبه إلى قلة العناية به وبمثله من الموضوعات الفكرية والثقافية والحضارية في الدراسات التأريخية، مما يزيد من صعوبته ويجعل تناوله بالدراسة ليس بالأمر

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

السهل، حيث تركز تلك الدراسات على الأحداث والوقائع السياسية والعسكرية بالدرجة الأولى، ومن جهة أخرى فإن هذه الموضوعات في تلك الدراسات تكون متداخلة بعضها في بعض، ويحتاج استظهارها من بين سطور تلك الوقائع والأحداث إلى قراءة متأنية، وعناية فائقة، وملاحظة دقيقة، مما يتطلب جهداً أكبر، ووقتاً أطول، ومع ذلك فإننا نجد أنفسنا أمام إشكالية لابد منها وهي تكرار بعض الأمثلة والشواهد التأريخية في مواضع مختلفة من البحث.

الحالة الاجتماعية

كان يسكن المدينة قبيل غزوة الأحزاب ثلاث طوائف من الناس: **المسلمون، واليهود، والمنافقون** :

١) أما المسلمون فيتكونون من المهاجرين والأنصار :

المهاجرون

أ) أما المهاجرون فكانوا أخلاطاً من قبائل شتى، معظمهم من قريش، وحتى ذلك التاريخ كان المهاجرون هم أشد الناس معاناة في المدينة، وتأتي معاناتهم أولا من عدم توفر مساكن كافية لهم، حيث نزل بعضهم في أول الهجرة ضيوفاً على بيوت الأنصار بقباء، ونزل العزاب منهم في دار سعد بن خيثمة بالعصبة[١]، وثانياً بسبب ظروف الغربة والوحشة والحنين[٢]، حيث انقطعت صلاتهم بمجتمعهم القديم في مكة، وصاروا إلى مجتمع غريب لايعرفه أكثرهم من قبل وقليل منهم فقط هم الذين يعرفونه بحكم الصلات المحدودة التي كانت بينهم في

(١) مجتمع المدينة، عبد الله بن إدريس ١٠٥، ١٠٦، مطابع جامعة الملك سعود ،ط٢، الرياض،١٤١٢هـ -١٩٩٢م . ودخلت في التوسعة الآن وهي مكان المحراب الحالي ...

(٢) المجتمع المدني (خصائصه وتنظيماته الأولى)، أكرم العمري ٧٤، مطابع الجامعة الإسلامية،ط١، المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الجاهلية، وتكاد تنحصر في التجارة والمصاهرة[١].

وقد واجه النبي ﷺ هذه الظروف بعدد من الإجراءات :

منها **توزيع الأراضي** التي لاتعود ملكيتها لأحد أو التي منحها له الأنصار على أصحابه المهاجرين[٢]، وتشجيعهم على بنائها[٣]، وقد عمل الناس على بناء دورهم بأنفسهم وبمساعدة معارفهم[٤]، وكانت دار عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أول دار من دور المهاجرين بنيت في المدينة[٥]. ومنها **توزيع الدور والأراضي والبساتين التي آلت للدولة بعد إجلاء أهلها** عنها من يهود بني قينقاع في السنة الثانية للهجرة[٦]؛ نتيجة خيانتهم العهود والمواثيق التي عقدوها مع المسلمين،وكان عدد دورهم حوالي سبعمائة استفاد منها المسلمون[٧]، أما يهود بني النضير الذين تم إجلاؤهم في العام الرابع الهجري فكانت أموالهم للرسول ﷺ خاصة، أماأرضهم فقسمها بين المهاجرين، وأعطى اثنين من الأنصار فقط هما: سهل بن حنيف وأبو دجانة سماك بن خرشة لحاجتهما وقيل أعطى ثالثاً وهو الحارث بن الصمة[٨]، ويبدو أن

---

(١) مجتمع المدينة، عبد الله بن إدريس ١١٠.

(١) أنساب الأشراف، البلاذري ٢٧٠، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف ومعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، مصر،١٩٥٩م . والمجتمع الإسلامي، أكرم العمري، ١٤، مكتبة الدار، ط١، المدينة المنورة، ١٤١٥هـ .

(٢) مجتمع المدينة، عبد الله بن إدريس ١٠٥.

(٣) الحياة الاقتصادية والاجتماعية، أكرم العمري ٤٣، دار اشبيليا، ط١،الرياض، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

(٤) وفاء الوفا، السمهودي ٢، ٧٢٨، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .

(٥) لمغازي،الواقدي ١، ١٧٦، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، ط٣، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. والطبقات، ابن سعد ٢، ٢٨، دار بيروت، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

(٦) السيرة النبوية، ابن هشام ٣، ٥٢، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت. وتاريخ الطبري ٢، ٤٨٠، ٤٨١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، ط٢، بيروت. والحياة الاقتصادية والاجتماعية، أكرم العمري ٦٠.

(٧) السيرة النبوية، ابن هشام ٣، ٢٠١، ٢٠٢. والروض الأنف، السهيلي ٣، ٢٥٠، ٢٥١، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار المعرفة، ط٩، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م . وانظر : المجتمع المدني (خصائصه وتنظيماته

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أعداد بني النضير لم تكن تقل عن أعداد بني قينقاع[١]؛إن لم تكن أكثر منها، مما يشير إلى أن عدد دورهم ربما كان مساوياً لعدد دور بني قينقاع، مع ملاحظة أن دور بني النضير أصبحت غير صالحة للسكنى بعد رحيلهم عنها؛ وذلك أنه حين سمح لهم بأخذ ما أقلَت الإبل إلا السلاح أخذوا يهدمون بيوتهم ويحملون ما وافقهم من خشبها[٢]، فأصبحت البيوت بذلك بحاجة إلى إعادة إصلاح حتى يمكن أن تسكن مرة أخرى، كما أن بيوتهم كانت تقع في أطراف المدينة بعيدة عن المسجد ووسط المدينة الذي يمثل مركزه وقلبها النابض مما قلل من فرص الاستفادة المثلى منها، أما غزوة بني قريظة التي وقعت في آخر شهر ذي القعدة وأول ذي الحجة من العام الخامس الهجري[٣]، وكانت امتداداً لغزوة الخندق التي وقعت في شوال من نفس هذه السنة[٤]، فقد تراوحت أعداد اليهود المقاتلين فيها ما بين ستمائة إلى تسعمائة مقاتل[٥]، وقد كانوا أكثر اليهود عدداً في المدينة، وقد آلت دور هؤلاء إلى المسلمين بعد نزولهم على حكم رسول الله ﷺ، وُزّعَت على المهاجرين دون الأنصار، فصارت لهم ملكية عقارية بعد أن كانوا ضيوفاً على دور الأنصار[٦]، وكان وقوعها في أطراف المدينة على ضفاف وادي مهزور في أقصى جنوب شرق المدينة قريباً من دور بني النضير قد قلّل من فرص الاستفادة منها أيضاً.

الأولى)،أكرم العمري ١٤٩، ١٥٠ .

(١) التاريخ الشامل للمدينة، عبد الباسط بدر١، ٢٤١، ط١، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام ٣، ٢٠١.

(٣) الطبقات، ابن سعد ٢، ٧٤، ٧٥ . وتاريخ الطبري ٢، ٥٩٣.

(٤) السيرة النبوية، ابن هشام ٣، ٢٢٤.

(٥) السابق ٣، ٢٥٢.

(٦) الحياة الاقتصادية والاجتماعية في عصر النبوة، أكرم العمري ٦٠، ٦١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومنها **عقد المؤاخاة** الذي أبرمه النبي ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار في السنة الثانية من الهجرة[١] وكان له أثره في التخفيف من معاناة المهاجرين ظهر بوضوح في الأيام والسنين التي تلت هذاالعقد ،ولعل من أبرز ما يروى في ذلك ما جرى بين سعد بن الربيع الأنصاري وعبد الرحمن بن عوف المهاجري رضي الله عنهما حيث عرض سعد على أخيه عبد الرحمن التنازل له عن نصف ماله وعن إحدى زوجتيه، إلا أن عبدالرحمن رفض هذا العرض مع الاعتراف له بالفضل والجميل، وطلب أن يدله على السوق[٢]. وقد تضمن هذا العقد إلى جانب دوره في التخفيف من معاناة المهاجرين عدداً من التنظيمات الاجتماعية الأخرى، منها :

١. التأكيد على وحدة المجتمع الإسلامي واستقلاليته وتميزه وانفتاحه على كل من أراد أن ينتمي إليه مهما كان لونه أو جنسه على أن ينخلع من صفاته الجاهلية ويكتسب الشخصية الإسلامية ليتمتع بسائر حقوق المسلمين[٣] .

٢. اعتبار آصرة العقيدة أساس الارتباط بين أفراد المجتمع الإسلامي، مع الاعتراف بالروابط الأخرى المعروفة كالدم والعرق والوطن واللون وغيرها، لكن هذه الصلات ينبغي أن تنضوي تحت آصرة العقيدة، فإذا خالفتها وأضرت بها لم يبق لها أي اعتبار[٤]، ولهذا قتل أبو عبيدة أباه المشرك في بدر[٥] ، وحين رأى مصعب بن عمير أخاه أبا عزيز ورجل من

(١) السيرة النبوية، ابن هشام ١، ٥٠١ والمجتمع المدني (خصائصه وتنظيماته الأولى)، أكرم العمري ١١٢ .

(٢) صحيح البخاري ٧، ٣١٧(٣٩٣٧)، دار الريان، ط١، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

(٣) المجتمع الإسلامي، أكرم العمري ٢٤.

(٤) السابق ٢٠، ٤٤ .

(٥) المعجم الكبير،الطبراني ١، ١٥٤ (٣٦٠)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، ط٢، الموصل – العراق . والمستدرك، الحاكم ٣، ٢٩٦ (٥١٥٢)،تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الأنصار يأسره قال مصعب للأنصاري : اشدد يديك به فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك. فقال له أخوه أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتك بي ؟ فقال له مصعب:إنه أخي دونك[١]. وفي غزوة المريسيع التي كانت قبيل غزوة الخندق بقليل استوقف عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول ﷺ أباه على أبواب المدينة، ومنعه من دخولها حتى يأذن له رسول الله ﷺ، ليعلم أنه الأذل ورسول الله ﷺ الأعز، على أثر قوله في الغزوة : ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾[٢] ويعني بالأعز نفسه ومن معه من الأوس والخزرج، والأذل رسول الله ﷺ ومن معه من المهاجرين[٣] .

٣. المساواة بين أفراد المجتمع الإسلامي، سادة وعبيداً، أغنياء وفقراء، صرحاء وحلفاء، وإلغاء النظام الطبقي الذي كان سائداً في الجاهلية، واعتبار التفاضل والتمايز بين الناس إلى التقوى فقط ؛ فقد آخى بموجب هذا العقد بين عمه حمزة بن عبد المطلب ومولاه زيد بن حارثة، وبين بلال بن رباح مولى أبي بكر،وبين عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي، وبين حاطب بن أبي بلتعة الحليف وبين عويم بن ساعدة الصريح، وبين عمار بن ياسر حليف بني مخزوم وبين حذيفة بن اليمان حليف بني عبد

الكتب العلمية، ط١ ،بيروت – لبنان، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م . وقد سكت عنه الذهبي في التلخيص . وتفسير القرطبي ١٧، ٢٦٠، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط٤، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م . والإصابة،ابن حجر ٤، ١١ (٤٣٩٣)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .وقال عن إسناد الطبراني : جيد .

(١) السيرة النبوية، ابن هشام ١،٦٤٦ . والبداية والنهاية، ابن كثير ٣، ٣٠٧، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

(٢) المنافقون (٨).

(٤) صحيح البخاري ٦، ٦٣١ (٣٥١٨)، ٨، ٥١٦ (٤٩٠٥) . وصحيح مسلم ٤، ١٩٩٨ (٢٥٨٤)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الأشهل[١].

٤. التأكيد على مسؤولية المسلمين الجماعية في تحقيق العدل والأمن في مجتمع المدينة، واعتبار النبي ﷺ المرجع الوحيد في كل خلاف يقع بين المسلمين، وإليه ترجع مسؤولية إعلان الحرب والسلم. ((فإذا أعلن الحرب فإن سائر المؤمنين يصبحون في حالة حرب مع الخصم، ولايمكن لفرد مهادنته لأنه مرتبط بالسياسة العامة للمؤمنين، كما أن عبء الحرب لايقع على عشيرة دون الأخرى، بل إن الجهاد فرض على جميع المؤمنين، وهم يتناوبون الخروج في السرايا والغزوات))[٢].

٥. إقرار الكيانات القبلية والعشائرية على تنظيماتها التي كانت قائمة والاستفادة من هذه التنظيمات في تحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع الإسلامي[٣].

٦. إقرار مبدأ الحلف، والجوار الذي كان معروفاً قبل الإسلام، وجعل من حق كل مسلم أن يجير، وأن لايخفر جواره[٤].

لقد آتت هذه التنظيمات التي اشتملت عليها وثيقة المؤاخاة ثمارها، وظهرت آثارها واضحة على المجتمع الإسلامي في تلك الفترة.

ومن الإجراءات الأخرى التي لجأ إليها النبي ﷺ لمعالجة تلك الأوضاع **محاولة الحد من تدفق المهاجرين** على المدينة وذلك بمنحهم ميزة المهاجر وأجره وفضيلته وهم في ديارهم، وترجع بدايات تطبيق هذا الإجراء إلى ما

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام ١، ٥٠٥، ٥٠٦. وانظر: المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى، محمد السيّد الوكيل ٥٤ -٥٦، دار المجتمع، ط١، جدة – السعودية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢) المجتمع الإسلامي، أكرم العمري ٤٥ - ٥١.

(٣) السابق ٤٣ -٤٥.

(٤) السابق ٤٨، ٥٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قبل غزوة الخندق بقليل، حين قدم وفد مزينة، في رجب سنة خمس، وكان عددهم أربعمائة، فجعل رسول الله ﷺ هجرتهم في دارهم وقال:«أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا إلى أموالكم» فرجعوا إلى بلادهم[١]، لكن يجب ملاحظة أن النبي ﷺ لم يكن حتى هذا الوقت يعزم على الناس بضرورة التقيد بهذا الإجراء، ولم يتم إيقاف الهجرة رسمياً إلا في أعقاب فتح مكة سنة ثمان[٢]، ((غير أنه لم يمنع أحداً من الإقامة في المدينة بعد الفتح، فقد جاءها أبو سفيان وأقام فيها بعد إسلامه، وجاء عدد من أهل مكة بعد الفتح ليلازموا رسول اللهﷺ، فظلت أعداد السكان في ازدياد))[٣] .

أسهمت هذه الإجراءات وغيرها في التخفيف من معاناة المهاجرين الأولين خاصة، وأخذ المهاجرون في التأقلم التدريجي مع مجتمع المدينة، والتعرف على مسالك ودروب الرزق فيها، وتوطدت علاقتهم به مع الأيام بالمصاهرة والزواج، والبيع والشراء، والمشاركة في المناسبات الاجتماعية، أو الحملات الجهادية، في السرايا والمغازي، ومناشط الحياة المختلفة .

إلا أن المشكلة ظلت قائمة مع المهاجرين الجدد الذين أخذت أعدادهم في تزايد مستمر، وأصبحت المدينة عاجزة عن استيعابهم والوفاء بمتطلباتهم.

الأنصار

أما **الأنصار** فيتكونون من قبيلتي الأوس

(١) الطبقات ، ابن سعد ١، ٢٩١ .ومجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ، عبدالله بن إدريس ١٠٧ .وقد صححه الألباني في عبارة مماثلة قالها النبي ﷺ لقبيلة أسلم سنة ثمان للهجرة . انظر : السلسلة الصحيحة ٥، ٢٩٩(٢٢٤٤).

(٢) المجتمع المدني (خصائصه وتنظيماته الأولى)، أكرم العمري ٧٠ .

(٣) التاريخ الشامل، عبد الباسط بدر ١، ٢٤٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والخزرج، وكان الخزرج أكثر عدداً من الأوس وأقوى عدة ؛ ولذلك تفوقوا عليهم في أغلب الحروب التي دارت بينهم قبل الإسلام[١]، فجمعهم الله بالإسلام تحت مظلة واحدة، وشعار واحد، واسم واحد وهو (الأنصار)، وقضى على الثارات والحروب التي كانت بينهم، إلا أن بعض آثار الماضي بقيت عالقة في بعض النفوس، يروى أن رسول الله ﷺ كان نازلاً في حي الخزرج أول مقدمه المدينة، فسأل عن أسعد بن زرارة الأوسي، فجاء أسعد الى النبي ﷺ متقنعاً كي لايشعر به أحد؛ وذلك أنه أصاب منهم دماً يوم بعاث، وبات عند رسول الله ﷺ حتى أصبح، ثم غدا إلى منزله، فقال رسول الله ﷺ لسعد بن خيثمة ورفاعة ومبشر ابني عبد المنذر : « أجيروه »، قالوا: أنت يارسول الله فأجره، فجوارنا في جوارك. فقال رسول الله ﷺ : « يجيره بعضكم »، فقال سعد بن خيثمة : هو في جواري . ثم ذهب سعد بن خيثمة إلى أسعد بن زرارة في بيته فجاء به مخاصرة يده في يده ظهراً حتى انتهى به إلى بني عمرو بن عوف[٢] . ومن ذلك ما وقع بين سعد بن معاذ زعيم الخزرج وسعد بن عبادة زعيم الأوس رضي الله عنهما في المسجد ،بين يدي رسول الله ﷺ على أثر حادثة الإفك التي وقعت بعد غزوة المريسيع مباشرة وقبل غزوة الخندق، وكاد الشر يقع بين القبيلتين لولا أن رسول الله ﷺ تدخل وهدأ الطرفين[٣] .

أما **علاقتهم بالمهاجرين** فمع أنه يغلب عليها الحب والمودة والإيثار إلا أنها تخرج عن هذا الإطار أحياناً إذا تهيأت لها الظروف المناسبة، وكان

(١) المرجع السابق ٦٠، ٦١ .

(٢) وفاء الوفا، السمهودي ١، ٢٤٩، ٢٥٠ . والتاريخ الشامل، عبد الباسط بدر ٢٣٩، ١، ٢٤٠ . والخبر أورده السمهودي من طريق عبد العزيز بن عبيد الله بن عثمان بن حنيف ولم أعثر له على ترجمة .

(١) صحيح البخاري ٧، ٤٩٨ (٤١٤١) . وصحيح مسلم ٤، ٢١٣٤ (٢٧٧٠) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

آخر ذلك في تلك الفترة ما وقع بين الطرفين في غزوة المريسيع حين كَسَعَ أحد المهاجرين أحد الأنصار، فنادى الأنصاري يا معشر الأنصار، ونادى المهاجري يامعشر المهاجرين، فقال رسول الله ﷺ : **«أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم»**، ثم أمر بالرحيل ليشغل الطرفين عن الخوض فيما وقع[1].

كانت مثل هذه الأحداث نادرة الوقوع وإن لم تكن آخرها كما لم تكن أولها، وهي لاتمثل ظاهرة واضحة في مجمل الحياة الاجتماعية للمسلمين، وكان وجود رسول الله ﷺ بين المسلمين كفيلاً بالقضاء عليها في مهدها والحد من آثارها .

أما **علاقتهم باليهود** فقد كانت تقوم على الاستعلاء عليهم، رغم أن وجود اليهود بالمدينة سابق على وجودهم[2]، وكان ((عدد من العرب المنتمين إلى الأوس والخزرج وغيرهما من القبائل العربية الأصيلة دانوا باليهودية عن رغبة منهم، أوبتأثير المصاهرة والزواج، أو بحكم النشأة في البيئة اليهودية، وقد كان في اليهود العرب جميع هذه الأنواع، وقد ثبت أن التاجر اليهودي الكبير والشاعر المشهور كعب بن الأشرف الذي يعرف بالنضري كان من قبيلة طيء تزوج أبوه في بني النضير، فنشأ كعب بن الأشرف يهودياً متحمساً ... وكان بعض من لا يعيش له ولد من العرب ينذر إذا ولد له ابن وعاش هوّدوه، وكان في المدينة عدد من العرب الذين دخلوا في اليهودية عن هذا الطريق . روى الإمام أبو داود السجستاني بسنده عن ابن عباس قال : كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها أن عاش لها

---

(١) صحيح البخاري ٦،٦٣١ (٣٥١٨) . ٥١٦، ٥٢٠، ٨ (٤٩٠٥، ٤٩٠٧) .وصحيح مسلم ٤، ١٩٩٨ (٢٥٨٤). وانظر: المجتمع المدني (الجهاد ضد المشركين)، أكرم العمري ٩٧، ٩٨، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

(٢) المجتمع المدني (خصائصه وتنظيماته الأولى)، أكرم العمري ٦١ . والسيرة النبوية، أبو الحسن الندوي ١٨١، دار الشروق، ط٧، جدة – السعودية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولد أن تهوّده، فلماأجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا : لاندع أبناءنا، فأنزل الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ قال أبو داود : المقلاة التي لا يعيش لها ولد))[١].

وتحكم العلاقة بين الطرفين الأحلاف القديمة التي كانت بينهما قبل الإسلام[٢]،ولايزال أثرها واضحاً حتى بعد الإسلام، إلا أن عبادة بن الصامت ﷺ تبرأ من حلفائه يهود بني قينقاع لما خانوا الله ورسوله، وتولى إجلاءهم عن المدينة بنفسه لما أمر الرسول ﷺ بذلك في السنة الثانية من الهجرة، في حين أن عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وهو من سادات الخزرج حاول تخليصهم لأنهم حلفاء قومه الخزرج، وشفع فيهم عند النبي ﷺ، وما زال يلح على رسول الله ﷺ في أمرهم حتى تركهم له[٣].

ولم يكن قد بقي من اليهود في المدينة قبيل غزوة الخندق إلا بنو قريظة، ولما توجه إليهم ﷺ بعد المعركة وحاصرهم عقوبة لهم على خيانتهم للمسلمين ونقضهم العهد ووقوفهم إلى جانب الأحزاب نجد أن بعض حلفائهم من الأوس يشفع فيهم عند رسول الله ﷺ، فما كان منه ﷺ إلا أن ترك الحكم فيهم إلى سيد من سادات الأوس هو سعد بن معاذ ﷺ[٤] .

ولا شك أن ظروف ازدحام المدينة بالسكان نتيجة استمرار تدفق المهاجرين لابد أن يكون قد ترك بعض أثره على الأوس والخزرج فيها ،

---

(١) السيرة النبوية، الندوي ١٧٩، ١٨٠ . والآية رقمها(٢٥٦) من سورة البقرة . والحديث في سنن أبي داود ٣، ١٣٢ (٢٦٨٢)، تحقيق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، حمص – سوريا . وقد صححه الألباني في صحيح سنن أبي داوود ٣، ٥٨ (٢٦٨٢) .

(٢) المجتمع المدني (خصائصه وتنظيماته الأولى) ،أكرم العمري ١٢٦، ١٢٧ .

(٣) السيرة ،ابن هشام ٥١، ٥٢، ٣ .والمغازي، الواقدي ١، ١٧٩ .

(٢) صحيح البخاري ٤٧٥، ٧ (٤١٢١) . وصحيح مسلم ٣، ١٣٨٩ (١٧٦٨) . والسيرة،ابن هشام ٣، ٢٤٩ -٢٥٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وخاصة مع وجود بعض من لم يدخل في الإسلام منهم .

ومع أن أحوال الأنصار المعيشية كانت أحسن حالاً على سبيل العموم من أحوال المهاجرين إلا أنه كان فيهم بعض المحتاجين، ولهذا فقد أعطى النبي ﷺ بعضهم من غنائم بني النضير في السنة الرابعة للهجرة[١] أي قبل الخندق بسنة واحدة تقريباً، وحين أراد أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه أن يتبرع بأحب ماله إليه وهي (بَيْرُحَاء) أمره النبي ﷺ أن يجعلها في بني عمه وأقاربه، ولم يأمره أن يجعلها في المهاجرين[٢].

اليهود

٢) أمااليهود فمعظمهم من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة[٣]، ((وكانت العلاقة بين هذه القبائل مضطربة متوترة، وقد يكون بعضهم حرباً على بعض ... وكانوا في القتال أقسى على بني جنسهم من العرب، واستحكم عداء بين بني قينقاع (من جهة) وبني النضير وقريظة (من جهة أخرى) جعل بني قينقاع يتركون أرضهم وزرعهم ويقتصرون على الصناعة)[٤]، (وكانت بنو النضير أعز من بني قريظة، فكانت تفرض عليهم دية مضاعفة لقتلاها، فلما ظهر الإسلام في المدينة امتنعت بنو قريظة عن دفع الضعف، وطالبت بالمساواة في الدية ،(واستقووا على بني عمهم بالمسلمين)، فنزلت الآية ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾))[٥]، ولم يكن قد بقى منهم في المدينة في ذلك

(٣) السابق ٣، ٢٠١، ٢٠٢ . والروض الأنف، السهيلي ٣، ٢٥٠، ٢٥١ .

(٤) صحيح البخاري ٣، ٣٨١ (١٤٦١) .

(١) الروض الأنف، السهيلي ٢، ٢٥٠، ٢٥١ . والسيرة النبوية، الندوي ١٧٢ . ووفاء الوفا، السمهودي ١، ١٥٧ - ١٦٥ .

(٢) السيرة النبوية، الندوي ١٧٢، ١٨١ .

(٣) مسند أحمد ٥، ٤٠١(٣٤٣٤)، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م . والسيرة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الوقت إلا بنو قريظة، أما بنو قينقاع والنضير فقد تم طردهم منها من قبل[١].

وقد كان عامة اليهود يرتبطون مع الأوس والخزرج قبل الإسلام بأحلاف ومواثيق معروفة، وكان بنو قريظة والنضير حلفاء للأوس، وبنو قينقاع حلفاء للخزرج[٢].

ولما جاء الإسلام لم يلغ تلك الأحلاف وإنما أقرها وجعلها تنضوي تحت تشريعاته وتنظيماته وذلك من خلال وثيقة الموادعة التي عقدها النبي ﷺ معهم وكان الأوس والخزرج الذين أصبحوا يعرفون (بالأنصار) طرفاً فيها، إضافة إلى المهاجرين، وقد أصبحوا جميعاً طرفاً واحداً مقابل الطرف الآخر وهم اليهود، وقد جرت هذه الموادعة في العام الهجري الأول، وقد أكسبت هذه الوثيقة تلك الأحلاف أهمية أكبر، والتزاماً أشد، ومسؤولية أعظم، إضافة إلى ماتضمنته من تنظيمات جديدة، كان من أبرزها كفالة الحرية الدينية للطائفة اليهودية في المدينة، والاعتراف لهم بحق المواطنة[٣]، وإلزام المسلمين بمعاملتهم بالمعروف والعدل، وعدم التحريض عليهم وإيذائهم[٤]، وهذا الإلزام إنما ألزم به المسلمون أنفسهم ولم يلزمهم به اليهود، وذلك من خلال وثيقة المؤاخاة التي كتبوها فيما

الصحيحة،أكرم العمري ١،٢٩١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م . والآية رقمها (٤٥) من سورة المائدة .

(٤) السيرة لابن هشام ٣، ٥٠، ١٩٩ .

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي ٦، ٥٣٢، ٥٣٣، منشورات الشريف الرضي، ط١، بغداد، ١٣٨٠هـ . والسيرة النبوية، الندوي ١٧٣، ١٨١ . والمجتمع المدني (خصائصه وتنظيماته الأولى)، أكرم العمري ٦١، ١٢٦ .

(٢) المجتمع المدني (خصائصه وتنظيماته الأولى)، أكرم العمري ١٣٨، ١٢٨، ١٢٧ .

(٣) السابق ١٣٥ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بينهم خاصة فيما بعد ، في العام الثاني الهجري، ولم يطلب من اليهود مقابل ذلك إضافة إلى الوفاء بهذا العهد أكثر من الاشتراك إلى جانب المسلمين في الدفاع عن المدينة[١] إذا تعرضت لعدوان خارجي، في حين أن اليهود ألزموا أنفسهم بدفع قسط من نفقات الحرب عن المدينة[٢] .

إلا أن اليهود وهم يراقبون الوفاق المتصاعد بين المهاجرين والأنصار، في حين أنهم لم يستطيعوا في الماضي أن يحققوا بينهم ولو حداً أدنى منه، وهم في الحاضر أعجز بسبب تفرقهم وتشتت شملهم، رغم أسبقيتهم في سكنى المدينة، وكثرة عددهم وعدتهم وأموالهم، ورغم الحروب الطاحنة التي كانت بين خصومهم من الأوس والخزرج في الماضي، والتي كان لهم اليد الطولى في إذكائها واستمرارها كلما خبت نارها من خلال أحلافهم مع الطرفين[٣]، وإمدادهم بالأموال والسلاح والرجال، ومع ذلك صارت الكلمة العليا في المدينة لهم، وبقي اليهود على حالهم، فقد أخذوا وهم يراقبون هذا الوضع يعملون في الخفاء على الكيد والتآمر على المسلمين، رغم العهود والمواثيق المبرمة معهم، وأخذوا المرة تلو الأخرى، والقبيلة تلو القبيلة ينقضون تلك العهود والمواثيق، ولم يكن ما يجري على أسلافهم موعظة للمتأخرين منهم، رغم أن المسلمين لم يكونوا يؤاخذونهم من المرة الأولى، وإنما كانوا يعفون عنهم، ويصطبرون عليهم، ويتأولون العفو عنهم[٤]، ويمهلونهم ويجددون تلك العهود معهم نزولاً عند رغبتهم المرة تلو الأخرى، مما عرضهم لسخط المسلمين وغضبهم، فطردوهم من المدينة،

(١) السابق ١٢٦.

(٢) السابق ١٢٣.

(٣)السيرة النبوية، الندوي ١٧٨ .

(٤) صحيح البخاري ٧٩، ٨ (٤٥٦٦) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولم تمض السنوات الخمس الأولى بعد الهجرة وبالمدينة منهم أحد .

وكان ابتداء ذلك خروج بعض بني قينقاع في إحدى المغازي للمشاركة في القتال إلى جانب المسلمين[١]، وكان الباعث على هذا الخروج فيما يبدو تلك الأحلاف القديمة، فإنه لم يطلب منهم النبي ﷺ ولا المسلمون المشاركة، كما لم تكلفهم وثيقة الموادعة بشيء من ذلك، فما كان من النبي ﷺ إلا أن قطع عليهم الطريق ورفض معونتهم ما داموا على الكفر[٢].

وعلى إثر انتصار المسلمين على المشركين في معركة بدر في رمضان من العام الثاني الهجري أظهر بنو قينقاع روحاً عدائية ضد المسلمين انتهت بإخلالهم بالأمن داخل المدينة مما أدى إلى إجلائهم عنها في شوال من العام الثاني الهجري[٣] .

ثم قيام كعب بن الأشرف، وهو من بني النضير بهجاء النبي ﷺ، وإظهار التعاطف مع أعداء المسلمين، ورثاء قتلاهم وتحريضهم على المسلمين، ممايعتبر نقضاً صريحاً للعهد والميثاق، وهو ما أدى إلى مقتله[٤].

ثم طلب بنو النضير على إثر مقتل أحد قادتهم بعد بدر[٥] تجديد العقد خوفاً من المسلمين وليس تأكيداً للالتزام بالعقدالسابق[٦]، فجدد

---

(١) المستدرك، الحاكم ١٣٣، ٢، ١٣٢ (٢٥٦٣، ٢٥٦٤)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت – لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

(٢) المجتمع المدني (خصائصه وتنظيماته الأولى)، أكرم العمري ١٢٦، ١٢٧ .

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام ٣، ٥٠ . والمجتمع المدني (خصائصه وتنظيماته الأولى)،أكرم العمري ١٣٨، ١٣٩ .

(٤) السيرة النبوية، ابن هشام ٣، ٥٤ – ٦١ . والمجتمع المدني (خصائصه وتنظيماته الأولى)، أكرم العمري ١٤١ – ١٤٣ .

(١) سنن أبي داود ٣، ٤٠٢ (٣٠٠٠) . قال الشيخ الألباني : صحيح الإسناد .

(٢) المجتمع المدني (خصائصه وتنظيماته الأولى)، أكرم العمري ١٤٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

النبي ﷺ العقد معهم، ولم يؤاخذهم بجريرة أحد قادتهم، إلا أنهم حرضوا المشركين على قتال المسلمين[١]، فكان ذلك أحد الأسباب التي دفعت المشركين لقتال المسلمين في شوال من نفس هذه السنة في معركة أحد، كما أعانوا أبا سفيان ﷺ قبل إسلامه في إغارته على أطراف المدينة في ذي الحجة من العام الثاني الهجري في ما عرف بغزوة السويق[٢]، وكان آخر ذلك محاولتهم قتل النبي ﷺ [٣]، مما تطلب من المسلمين وضع حد لهذه التجاوزات المتكررة، فكان إجلاؤهم عن المدينة في ربيع الأول من العام الرابع الهجري[٤].

أما بنو قريظة فقد جددت المعاهدة مع المسلمين خلال حصار بني النضير وقبل إجلائهم، وأظهرت رغبتها في المحافظة على العهد[٥]، حتى كانت غزوة الأحزاب في شوال من العام الخامس الهجري[٦] نقضت قريظة العهد الذي بينهم وبين النبي ﷺ[٧]، وانضمت في موقفها إلى جموع الأحزاب الأحزاب حول المدينة من قريش والأحابيش واليهود وقبائل العرب[٨]، وكان نقضهم للعهد بتحريض من حيي بن أخطب النضري [٩]، الذي كان

(٣) فتح الباري ٧، ٣٨٦ (٤٠٣٢)، دار الريان، ط١، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

(٤) السيرة النبوية، ابن هشام ٣، ٤٧.

(٥) المصنف، عبد الرزاق ٥، ٣٦٠(٩٧٣٢)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط٢، بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. وفتح الباري، ابن حجر ٧، ٣٨٥ (باب حديث بني النضير). والسيرة، ابن هشام ٣، ١٩٩، ٢٠٠.

(٦) السيرة النبوية، ابن هشام ٣، ١٩٩. والمغازي، الواقدي ١، ٣٦٣.

(٧) المصنف، عبد الرزاق ٥، ٣٦٠ (٩٧٣٣). وسنن أبي داود ٣، ٤٠٦ (٣٠٠٤) وقال الألباني: صحيح الإسناد.

(٨) السيرة النبوية، ابن هشام ٣، ٢٢٤.

(٩) السابق ٣، ٢٣١، ٢٣٢.

(١) السابق ٣، ٢٢٦، ٢٣٠ – ٢٣٢.

(٢) السابق ٣، ٢٣١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كان له دور بارز من قبل في تأليب قريش وجموع الأحزاب ضد المسلمين وتحريضهم على مهاجمة المدينة في غزوة الخندق، إلى جانب عضوين آخرين من زعماء بني النضير الموتورين ذكرتهما بعض مصادر السيرة، هما سلام بن أبي الحقيق النضري، وكنانة بن أبي الحقيق النضري [١].

وقد جاء نقض بني قريظة للعهد في وقت عصيب على المسلمين ؛ حيث كان يحاصرهم عشرة آلاف مقاتل من الأحزاب[٢]، ولهذا فإنه لما هزم الله جموع الأحزاب وفرقهم وشتت شملهم، توجه ﷺ إلى بني قريظة لمعاقبتهم على خيانتهم العظمى للعهد والميثاق، وانضمامهم إلى صفوف المشركين، بدلاً عن المشاركة في الدفاع عن المدينة إلى جانب المسلمين، كما تقتضيه بنود المعاهدة بين الطرفين، فحاصرهم إلى أن نزلوا على حكمه، فحكّم فيهم سعد بن معاذ ﷺ، سيد الأوس وحليف بني قريظة، على رضىً منهم بحكمه فيهم للحلف الذي بينهم، فحكم فيهم بأن تقتل المقاتلة، وتسبى النساء والذرية، وتقسم الأموال، فأقره رسول الله ﷺ، وقال : « قضيت بحكم الله »[٣] .

وبذلك أسدل الستار على الوجود اليهودي في المدينة، قال ابن عمر : ((وأجلى رسول الله ﷺ يهود المدينة كلهم٠٠٠ وكل يهودي كان بالمدينة))[٤]، وتم التخلص من ممارسات كثيرة من الخيانة والغدر والمراوغة ظلت تحكم علاقاتهم الاجتماعية بالمسلمين، وسارت المدينة خطوة متقدمة نحو الاستقرار الاجتماعي .

---

(٣) السابق ٣، ٢٢٥، ٢٢٦ .

(٤) السابق ٢٣٠، ٣ .

(٥) انظر فيما تقدم ص١٥ .

(١) صحيح مسلم ١٣٨٨، ٣ (١٧٦٦) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولا يشكل على هذا ماورد في صحيح البخاري وغيره من أن النبي ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودي[١]؛ فإن هذا اليهودي لم يكن من إحدى القبائل اليهودية الثلاث المذكورة، وإنما كان عربياً متهوداً من بني ظفر من الأوس، اسمه وكنيته أبو الشحم[٢]، ومع ذلك فإني لا أستبعد أن يكون بالمدينة بقايا من اليهود ظلوا بعد العام الخامس الهجري من السبي وخلافه.

المنافقون

٣) المنافقون، وهم أخلاط من قبائل شتى، من الأوس والخزرج، ومن بعض المتهودين من العرب، ومن رجال بعض البطون اليهودية الصغيرة، ومن بعض الأعراب حول المدينة[٣]. ولم يكن في المهاجرين نفاق[٤]؛ فإنهم من الكفر فروا، وتحملوا ما تحملوه من المشقة والعذاب، فلأن يفروا من النفاق أولى[٥].

ويعود ظهور النفاق في المدينة إلى ما بعد غزوة بدر، ولم يكن قبل بدر نفاق، كما لم يكن في مكة نفاق، إنما كان فيها إسلام صريح أو كفر صريح، فلما أظهر الله كلمته في بدر، وأعز دينه، ونصر جنده ((قال عبدالله بن أبي بن سلول: هذا أمر قد توجه. فأظهر الدخول في الإسلام، ودخل معه طوائف ممن هم على طريقته ونحلته وآخرون من أهل الكتاب، فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب))[٦].

---

(١) صحيح البخاري ٦، ١١٦ (٢٩١٦).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٥، ١٦٧ (٢٥٠٨).

(٣) مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ، الأعظمي ٤٤٦، ٤٥٢، دار الإعتصام، القاهرة، ١٩٨٩م.

(٤) تفسير ابن كثير ١، ٤٧، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٥) ولعل من أبرز ما يستدل به على ذلك خبر عمر بن الخطاب ﷺ حين ألحّ في سؤال حذيفة بن اليمان خشية أن يكون في المنافقين الذين سماهم له رسول الله ﷺ. انظر: تفسير ابن كثير ٢، ٣٨٥.

(٦) تفسير ابن كثير ١، ٤٧. وسيرة الرسول ﷺ (صور مقتبسة من القرآن)، دروزة ٢، ٧٤، المكتبة العصرية، صيدا –

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويعد **عبد الله بن أبي بن سلول** – وهو أحد زعماء الخزرج – أبرز رؤوس النفاق في المدينة في ذلك الوقت، ويرجع سبب نفاقه إلى الحسد الذي ملأ قلبه على رسول الله ﷺ؛ حيث كانت المدينة تتهيأ لتتويجه ملكاً عليها قبل مقدم النبي ﷺ، فلما جاء الله بالإسلام، وانتقل النبي ﷺ إلى المدينة، وصار إليه الأمر كله، لم يبق لعبد الله بن أبيّ شيء، وصار ذلك سبباً في استلاب ما كان يتهيأ له وانتزاع الملك من بين يديه، فحسده لأجل ذلك، وأبطن عداوته، وأظهر الإسلام[١].

والنفاق من أبرز المشاكل التي واجهت المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت، وكانت تستعصي على الحل دائماً، وبقيت تؤرق المسلمين طوال فترة عصر الرسالة، ولم يستطيعوا أن يجدوا لها حلاً جذرياً يقضي عليها، وتعود خطورتها إلى أن أتباعها مندسون في صفوف المسلمين، وهم معهم أينما كانوا، في الحضر والسفر، وفي المسجد، وفي المجالس العامة، وفي الجهاد، وفي كل مكان، وهم معدودين من أصحابه ﷺ، ومع أن الوحي كان يفضحهم على الدوام[٢]، وكان الرسول ﷺ يعرفهم في لحن القول[٣] إلا أنه لم يعتبرهم أعداءً محاربين[٤]، ولذلك لم يتعرض لهم بالقتال أو الجلاء كما فعل مع اليهود، كل ذلك كي لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، وكان يكل أمرهم إلى المسلمين من قبائلهم، فإنهم

بيروت .

(١) تفسير ابن كثير ١، ٤٧. وشرح النووي على مسلم ١٢، ١٥٩، دار إحياء التراث العربي، ط٣، بيروت – لبنان .

(٢) مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ، الأعظمي ٤٢٩ – ٤٣٧ . وسيرة الرسول ﷺ(صور مقتبسة من القرآن)، دروزة ٢، ٧٥.ومن أبرز السور القرآنية الواردة في فضحهم سورة (براءة) ولهذا فإن من أسمائها (الفاضحة) . انظر : تفسير ابن كثير ٤، ١٨٠ . وانظر أسماء بعضهم في السيرة النبوية، ابن هشام ٢، ٥١٩ – ٥٢٩ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤، ١٨٠ .

(٤) سيرة الرسول ﷺ (صور مقتبسة من القرآن)، دروزة ٢، ٧٧ – ٧٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

سيتكفلون بهم غالباً، وهو ما سنلحظه في بعض ما يأتي من أمثلة .

وقد زاد من خطرهم التعاون الوثيق بينهم وبين اليهود في المدينة مما سنلحظه في البعض الآخر من الأمثلة. ويظهر الأثر السيء لهذه الفئة واضحاً على المجتمع الإسلامي في تلك الفترة من خلال الوقائع التأريخية التالية :

روى مسلم في صحيحه من طريق أسامة بن زيد ﷺ : أن النبي ﷺ ركب حماراً، عليه إكاف، تحته قطيفة فدكية، وأردف وراءه أسامة، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج، وذلك قبل وقعة بدر، حتى مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين، والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، فيهم عبد الله بن أبيّ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمّر عبد الله بن أبيّ أنفه بردائه ثم قال : لا تغبّرواعلينا. فسلم النبي ﷺ ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن. فقال عبد الله بن أبيّ[1]: أيها المرء ! لا أحسن من هذا، إن كان حقاً ما تقول فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه . فقال عبد الله بن رواحة: اغشنا في مجالسنا، فإنا نحب ذلك . قال : فاستب المسلمون، والمشركون، واليهود، حتى همّوا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي ﷺ يخفّضهم .

ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة . فقال : «أي سعد ! ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب؟(يريد عبد الله بن أبيّ) قال كذاوكذا»، قال : اعف عنه يارسول الله واصفح . فوالله ! لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البُحَيْرة أن يتوّجوه، فَيُعَصّبُوه بالعصابة،

(١) قال عبد الله بن أبيّ ذلك حين كان كافراً قبل أن يدخل في الإسلام نفاقاً . انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٢، ١٥٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شَرِقَ بذلك، فذلك فعل به ما رأيت. فعفا عنه النبي ﷺ[١] .

وروى أيضاً من طريق أنس بن مالك ﷺ: قيل للنبي ﷺ: لوأتيت عبد الله بن أبي ؟ قال : فانطلق إليه . وركب حماراً وانطلق المسلمون . وهي أرض سبخة . فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني . فوالله ! لقد آذاني نتن حمارك . قال: فقال رجل من الأنصار: والله ! لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك . قال : فغضب لعبد الله رجل من قومه، قال: فغضب لكل واحد منهما أصحابه . وقال: فكان بينهم ضرب بالجريد وبالأيدي وبالنعال[٢] .

وفي معركة بدر، يوم الفرقان، اليوم الذي فرق الله فيه بين الحق والباطل، كان انتصار المسلمين فيها غصة شَرِقَ بها أعداؤهم ولم يستطيعوا تصديق واستيعاب خبر نصر المسلمين وهزيمة قريش ؛ لقلة عدد المسلمين وكثرة أعداد المشركين من جهة، ومن جهة أخرى فإن قريشاً كانوا ملوك العرب، وأشراف الناس وساداتهم، وأهل الحرم، فأصاب بعض المنافقين واليهود مايشبه الجنون، وأخذتهم سكرة من هول الصدمة ووقع المفاجأة، وأخذ بعضهم عوضاً عن المهادنة والتصرف بحكمة تلائم ظروف النصر الذي أحرزه المسلمون يهذي بكلام يقلب فيه الحقائق رأساً على عقب، كالذي يتخبطه الشيطان من المس، يتمنى لو يستطيع أن يرد نتيجة المعركة لصالح قريش هزيمة على المسلمين، مما عرضهم لنقمة المسلمين وغضبهم[٣]، وهذا من خذلان الله لهم ومكره بهم، قال الواقدي : ((فلما قدم بالأسرى أذل الله بذلك رقاب المشركين والمنافقين واليهود، ولم يبق

(١) صحيح مسلم ٣، ١٤٢٢ (١٧٩٨) . وقال المحقق : البُحَيرة أصلها القرية والمراد بها هنا مدينة النبي ﷺ.
(٢) السابق ١٤٢٤، ٣(١٧٩٩).
(١) المجتمع المدني (الجهاد ضد المشركين)، أكرم العمري ٥٧، ٥٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بالمدينة يهودي ولا منافق إلا خضد عنقه لوقعة بدر))[١].

وروى البلاذري أنه لما جاء زيد بن حارثة إلى أهل المدينة يبشرهم بنصر المسلمين في المعركة وهزيمة قريش، قال رجل من المنافقين لأسامة بن زيد، وكان رسول الله ﷺ قد خلفه مع عثمان بن عفان بالمدينة لتمريض رقية رضي الله عنها، قال: قتل صاحبكم ومن معه. وقال آخر منهم لأبي لبابة بن عبد المنذر: قد تفرق أصحابكم تفرقاً لايجتمعون بعده، وقتل محمد وهذه ناقته نعرفها، وهذا زيد لايدري مايقول من الرعب. قال أسامة: فأتيت أبي، فكذب قول المنافقين. وقدم شقران بالأسرى[٢].

وقال ابن اسحاق: لما أصيب أصحاب بدر، وقدم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بشيرين، بعثهما رسول الله ﷺ إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل عليه، وقتل من قتل من المشركين ... قال كعب بن الأشرف ... حين بلغه الخبر: أحق هذا؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان؟! ... فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها[٣].

لكنهم لما أفاقوا من سكرتهم وتكشفت لهم الحقائق، وجدوا أنفسهم أمام الحقيقة المرة المؤلمة مرغمين على الاعتراف والتصديق بها، فدخل نفر كثير منهم في الإسلام، وبعضهم كان دخوله حماية لمصالحة بعد أن شعر برجحان كفة المسلمين، فكوَّن هؤلاء جبهة المنافقين في

(٢) المغازي، الواقدي ١٢١،١.

(٣) أنساب الأشراف (تحقيق محمد حميد الله)، البلاذري ٢٩٤ .والسيرة، ابن هشام ٦٤٢،١.

(١) السيرة النبوية، ابن هشام ٣، ٥٤، ٥٥ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المدينة، وعلى رأسهم عبد الله بن أبيّ بن سلول[١] .

ولما توجه ﷺ إلى إجلاء بني قينقاع في أعقاب معركة بدر من العام الثاني الهجري ونزل قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾[٢]، رفض عبد الله بن أبيّ أن يتبرأ من ولايته ليهود وقد كانوا مواليه قبل الإسلام، واعتذر عن ذلك بقوله : إني رجل أخاف الدوائر، لا أبرأ من ولاية موالي[٣] .

في حين أن عبادة بن الصامت الذي أشرب قلبه بالإيمان، بادر مسرعاً إلى البراءة من ولاية يهود قائلاً : يا رسول الله، إن لي موالي من يهود كثير عددهم، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود وأتولى الله ورسوله[٤] .

تشير هذه الواقعة إلى التعاون الوثيق الذي أخذ يتبلور بين اليهود والمنافقين[٥]، وهو مايمكن استثماره في المستقبل بشكل أكبر، بحيث يخدم الأهداف المشتركة للطرفين[٦]، وهو ما تم بالفعل .

---

(٢) المجتمع المدني (الجهاد ضد المشركين)، أكرم العمري ٥٩ . ومجتمع المدينة في عهد الرسول، الأعظمي ٤٤٧.

(٣) المائدة (٥١ - ٥٢).

(٤) السيرة النبوية، ابن هشام ٥٢، ٣،٥١ . وتفسير الطبري ٦، ٣٢٨، ٣٢٩، تعليق محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م . وتفسير ابن كثير ٢،٦٨، ٦٩. والمجتمع المدني (خصائصه....)، أكرم العمري ١٤١، ١٤٠ . ومجتمع المدينة ،الأعظمي ٤٥١، ٤٥٠.

(٣) السابق .

(٤) سيرة الرسولﷺ (صور مقتبسة من القرآن)، دروزة ٢، ٧٥، ٧٦، ٩٥ .

(٥) مجتمع المدينة، الأعظمي ٤٤٦، ٤٥٦، ٤٦٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفي معركة أحد، وأثناء التوجه إلى أرض المعركة؛انسحب عبد الله بن أبي بن سلول من جيش المسلمين، ورجع إلى المدينة بثلاثمائة مقاتل يمثلون ثلث جيش المسلمين متذرعاً بقوله : أطاعهم وعصاني . إشارة إلى اتّباع النبي ﷺ لرأي الأكثرية بعد المشورة، وترك رأي ابن أبي رغم سنه ومكانته، مع أن رأي الرسول ﷺ كان موافقاً لرأي ابن أبي، ولم تفلح محاولات بعض المسلمين ثني ابن أبي للتراجع عن قرار الانسحاب[1].

ومما يلحظ على هذا القرار دقة التوقيت الذي اختاره لاتخاذه، وقد كان لديه متسع قبل هذا التوقيت ؛ ليضع المسلمين بذلك أمام الأمر الواقع، في مأزق حقيقي، وموقف محرج عصيب، لايستطيعون معه أن يقدموا أو يؤخروا ، وهو جزء من مكر المنافقين المعروف .

((وقد أثر موقف المنافقين هذا في نفوس طائفتين من المسلمين، ففكروا بالعودة إلى المدينة ،ولكنهم غالبوا الضعف الذي ألمّ بهم، وانتصروا على أنفسهم بعد أن تولاهم الله تعالى فدفع عنهم الوهن، فثبتوا مع المؤمنين، وهما بنو سلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس))[2].

وبعد المعركة انتهز المنافقون فرصة القتل والجراحات والمحنة والابتلاء الذي أصاب المسلمين في المعركة ليرجفوا بالمسلمين، ويثبطوا عزائمهم، ويحذروهم من مخاطر القتال، وعواقب مصارعة الأقوياء[3]، وإن وإن لم يكن لدينا على ذلك وقائع معينة، إلا أن الآيات القرآنية التالية تصور لنا هذا الجو بوضوح، وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ

(١) المجتمع المدني (الجهاد.....)، أكرم العمري ٦٧ – ٧٠ .

(١) السابق ٧٠ .

(٢) مجتمع المدينة، الأعظمي ٤٥٥ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

﴿وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ فـــرد الله علـــيهم بقولـــه : ﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [١].

وفي غزوة المريسيع ((كشف المنافقون عن الحقد الذي يضمرونه للإسلام والمسلمين، فكلما أحرز الإسلام نصراً جديداً ازدادوا غيظاً على غيظهم، وقلوبهم تتطلع إلى اليوم الذي يهزم فيه المسلمون لتشتفى من الغل، فلما انتصر المسلمون في المريسيع سعى المنافقون إلى إثارة العصبية بين المهاجرين والأنصار))[٢]، وذلك حين ضرب رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري : يا للأنصار. وقال المهاجري : يا للمهاجرين . فسمع بذلك رسول الله ﷺ فقال : « **ما بال دعوى الجاهلية ؟ دعوها فإنها منتنة** ». فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال : فعلوها ؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . فبلغ النبي ﷺ فقام عمر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي ﷺ : « **دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**»[٣]، ثم أمر الجيش بالرحيل ليشغلهم عن الحديث في الفتنة[٤] .

((وقد ضعف مركز عبد الله بن أبي بن سلول في قومه، فكانوا يعنّفونه ويلومونه كلما أخطأ[٥]. بل إن ابنه عبد الله استأذن الرسول ﷺ في قتل أبيه، فنهاه))[٦] عن ذلك . ثم وقف في وجه أبيه على أبواب المدينة ومنعه

---

(٣) آل عمران (١٦٨) .

(٤) المجتمع المدني (الجهاد ....)، أكرم العمري ٩٧.

(١) صحيح البخاري ٦، ٦٣١ (٣٥١٨) و ٨، ٥١٦ (٤٩٠٥)، وصحيح مسلم ٤، ١٩٩٨ (٢٥٨٤) .

(٢) المجتمع المدني (الجهاد .....)، أكرم العمري ٩٧، ٩٨.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام ٣، ٣٠٥ .

(٤) السابق .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

من دخولها حتى أذن له رسول الله ﷺ بالدخول ؛ مبرراً صنيعه هذا بقوله : ليعلم أن رسول الله ﷺ هو الأعز وأنه هو الأذل[١] .

أخفقت محاولة المنافقين في المرة الأولى عند ماء المريسيع، ونزل في شأنهم سورة كاملة من القرآن عرفت باسم سورة (المنافقون) وهي قوله تعالى : ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾، إلا أنه بعد العودة إلى المدينة وتأخر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن القدوم مع الجيش، ثم مجيئها بعد ذلك مع صفوان بن المعطل السلمي رضي الله عنه سنحت الفرصة للقوم للتنفيس عن أحقادهم، ودفعهم الغضب إلى رمي أم المؤمنين زوراً وبهتاناً بالإفك إيذاءً للنبي ﷺ وأهل بيته والمسلمين، وقد تمكنوا من جَرّ بعض المسلمين للخوض معهم في حديث الإفك.

((وضاق الرسول ﷺ ذرعاً بدعايات المنافقين وصرّح بذلك للمسلمين وهم مجتمعون في المسجد ، معلناً ثقته بزوجه ، وبالصحابي صفوان بن المعطّل . وقد أبدى سعد بن معاذ استعداده لقتل من يروّج ذلك إن كان من الأوس، فأظهر سعدبن عبادة معارضته لسعدبن معاذ ، حتى كادت تقع الفتنة بين الأوس والخزرج، لولا أن رسول الله ﷺ هدأهم .

ومرضت أم المؤمنين رضي الله عنها ، فاستأذنت النبي ﷺ في الذهاب إلى بيت أبيها ، فأذن لها ، ثم علمت بخبر الإفك فكانت ((لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم)) ، وهي تنتظر أن يعلم الله نبيه ﷺ ببراءتها برؤيا صادقة ، وقد انقطع الوحي شهراً عانى خلاله الرسول ﷺ أشد المعاناة ، فقد طعنه المنافقون في عرضه وآذوه في زوجه ، ولا شك أنه كان يتطلع إلى الوحي وهو

(٥) سنن الترمذي ٥ ، ٤١٨ (٣٣١٥)، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢ ، مصر ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

في أشد الحاجة إليه لتطمئن نفسه ﷺ، ويخرس ألسنة المنافقين، ويذب عن زوجه الحبيبة، وأبيها الذي كان أحب الناس إليه. ثم نزل الوحي بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

((والحق أن حادثة الإفك كادت تشعل نار العصبية من جديد بين الأوس والخزرج هذه المرة، حيث تجادل زعماؤهم بغضب في المسجد، وكان هذا هو مقصد المنافقين: تهديم وحدة المسلمين، وزعزعة ثقتهم بقيادتهم، وإشعال نار الفتنة بينهم، ولكن الله سلم، وتمكن الرسول ﷺ من تهدئة الجميع، والحفاظ على الوحدة، والخروج من الامتحان الصعب بنجاح))[1].

(١) انظر تفاصيل حادثة الإفك في: صحيح البخاري ٧، ٤٩٦ - ٤٩٩ (٤١٤١). وصحيح مسلم ٤، ٢١٢٩ - ٢١٣٨(٢٧٧٠). وانظر: المجتمع المدني (الجهاد...)، أكرم العمري ١٠٠، ١٠١. والآيات رقمها(١١ -٢٠) من

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ونصل إلى غزوة الخندق لنرى مواقف المنافقين تتكرر فيها مرة أخرى على نفس الوتيرة، ففي مرحلة حفر الخندق التي سبقت المعركة نجد أن النبي ﷺ يبشر أصحابه أثناء الحفر بفتح الشام والعراق واليمن، رغم ظروف الجوع الشديد، والبرد القارس، والعمل الشاق، والعدو المرتقب، وهو ما أثار سخرية وتهكم المنافقين، فقالوا: ﴿ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[1]، وما موقفهم ذلك إلا توهيناً للقوى، وتخذيلاً للمؤمنين، وجبناً في مواجهة العدو، وبثاً للشك والريبة في وعدالله ورسوله ﷺ[2].

وفي مرحلة لاحقة من الحفر نجد أن المنافقين ((يستأذنون الرسول ﷺ للانصراف عن ميدان العمل والقتال بحجج واهية، زاعمين أن بيوتهم مكشوفة للأعداء، وإنما يقصدون الفرار من الموت لضعف معتقدهم، وللخوف المسيطر عليهم، بل ويحثون الآخرين على ترك مواقعهم والرجوع إلى بيوتهم، ولم يراعوا عقد الإيمان وعهود الإسلام))[3]. قال تعالى في حكاية ذلك عنهم: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل

سورة النور.

(١) الأحزاب (١٢). وانظر تفاصيل ذلك في: فتح الباري ٧، ٤٦٢. وشرح النووي على صحيح مسلم ١١٣، ٩.

(٢) المجتمع المدني (الجهاد ....)، أكرم العمري ١١٥ -١١٧. ومجتمع المدينة، الأعظمي ٤٥٨.

(٣) المجتمع المدني (الجهاد....)، أكرم العمري ١١٧. وانظر: فتح الباري ٧، ٤٦٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ ۞ [1] .

((والآيات تشير إلى النفاق وما يولده من القلق في النفوس، والجبن في القلوب وانعدام الثقة بالله عند تعاظم الخطوب، والجرأة على الله تعالى بدل اللجوء إليه عند الامتحان، ولا يقف الأمر عند الاعتقاد بل يتبعه العمل المخذّل المرجف))[2].

هكذا بدت أحوال المدينة الاجتماعية في تلك الفترة في حالة من الترقب والقلق وعدم الاستقرار في ظل وجود خليط من المسلمين وغير المسلمين يسكنون المدينة، إلا أن هذا الوضع سيشهد تحسناً ملحوظاً في الفترة اللاحقة على إثر التخلص من آخر الجيوب اليهودية في المدينة في نهاية هذه المرحلة، وما ستشهده العلاقة بين المسلمين من نمو مضطرد وتطور مستمر، على صعيد العلاقة بين المهاجرين والأنصار من جهة، وبين الأوس

(١) الأحزاب (١٣ -٢٠).

(٢) المجتمع المدني (الجهاد .....)، أكرم العمري ١١٦، ١١٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والخزرج من جهة أخرى، إلا أن وجود النفاق والمنافقين في المجتمع المدني ستظل المشكلة الأبرز التي تؤرق المسلمين وتعكر صفو وحدتهم .

الحالة السكانية كانت أحوال المدينة السكانية قبل غزوة الخندق قد شهدت تطوراً سكانياً مزدوجاً، حيث تضاعفت أعداد المسلمين فيها بشكل مضطرد منذ العام الأول الهجري، بسبب موجات الهجرة المتوالية قبل وبعد هجرة النبي ﷺ إليها، في حين تناقصت أعداد اليهود بها، منذ العام الثاني الهجري إلى مابعد غزوة الخندق بقليل في العام الخامس الهجري، إلاّ أن أعداد المهاجرين إليها كانت تفوق أعداد النازحين منها على سبيل الإجمال.

وكان النبي ﷺ حين اتخذ المسجد في المكان الذي اتخذه فيه قد أقطع المهاجرين الأراضي المحيطة به ليتخذوا فيها مساكن لهم، وكانت هذه الأراضي عبارة عن عفاء من الأرض غير مملوكة لأحد، وبعضها وهبها له الأنصار[1]، وصار المسجد والمنطقة المحيطة به مركز المدينة وقلبها النابض، وأصبحت تعرف بباطن المدينة مقابل ظاهر المدينة[2] التي تنتشر فيها معظم قبائل الأوس والخزرج واليهود، وتتخللها بعض بيوت المهاجرين المتناثرة بينهم كما سيرد مفصلاً بعد قليل .

وكانت بيوت أزواجه ﷺ محيطة بالمسجد من ثلاث جهات، هي الجنوبية أولاً، ثم الشرقية، فالشمالية لما زاد عدد نسائه ﷺ لاحقاً[3]،

---

(١) وفاء الوفا، السمهودي ٢،٧١٨ .

(٢) وفاء الوفا، السمهودي ١،٢٥٤ . ومجتمع المدينة، عبد الله بن إدريس ١٥٩ .

(١) مجتمع المدينة، عبد الله بن إدريس ١٦٩، ١٧٠ . وبيوت الصحابة رضي الله عنهم، محمد إلياس ١٦ -٢١، ط١، المدينة المنورة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .والدر الثمين، غالي الشنقيطي ٣٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكان عدد نسائه ﷺ في الفترة موضوع الدراسة ست نسوة[١]، وكان بيت علي وفاطمة رضي الله عنهما ملاصقة لبيوت النبي ﷺ من الجهة الشرقية[٢].

وقد أقطع النبي ﷺ لعبد الرحمن بن عوف ﷺ شمالي المسجد، وقد تجمع حول دار عبد الرحمن بقية قومه من بني زهرة، حتى أصبحت دور بني زهرة أو خطتهم تشغل بعض الأراضي الشمالية للمسجد، وقد تنعطف على المسجد من جهة الغرب، ودار عبد الرحمن بن عوف هي أول دار بناها المهاجرون[٣]. ولما أقطع الرسول ﷺ أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي ﷺ جعل داره عند دار بني عبد العزى الزهريين[٤]. وكانت دور بني عدي جنوب المسجد، أشهرها دار آل عمر بن الخطاب ﷺ، وقد تمتد دورهم إلى البقيع شرقاً وإلى السوق غرباً[٥]. ودور بني تيم في الجهة الجنوبية الغربية للمسجد، من أشهرها دار أبي بكر الصديق ﷺ [٦]، ودور بني مخزوم محيطة بالمسجد في أول جهة المشرق مما يلي الشمال[٧]، وجنوب دور بني مخزوم تقع دار عثمان بن عفان ﷺ [٨]. كما أقطع عبد الله وعتبة ابني

(٢) تسمية أزواج النبي ﷺ وأولاده، أبو عبيدة معمر بن المثنى ٥٣ - ٦٤، تحقيق كمال الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية ومركز الخدمات والأبحاث الثقافية، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٣) وفاء الوفا، السمهودي ٢،٤٦٩، ٤٧٠. و مجتمع المدينة، عبد الله بن إدريس ١٧٠. وبيوت الصحابة، محمد إلياس ٩٣، ٩٤. والدر الثمين، غالي الشنقيطي ٣٩، ٤٠.

(٤) الطبقات، ابن سعد ٣، ١٢٦. ووفاء الوفا، السمهودي ٢، ٧١٨، ٧٢٨. ومجتمع المدينة، عبد الله بن إدريس ١٧١.

(٥) الطبقات، ابن سعد ٣، ٢٤٠. ومجتمع المدينة، عبد الله بن إدريس ١٧١.

(١) وفاء الوفا، السمهودي ٢، ٧١٨، ٧٢٠. ومجتمع المدينة، عبد الله بن إدريس ١٧٢.

(٢) وفاء الوفا، السمهودي ٢،٧١٨، ٧٢٦، ٧٢٧. ومجتمع المدينة، ابن إدريس ١٧٢. وآثار المدينة، عبد القدوس الأنصاري ٣٣، المكتبة العلمية، ط٤، المدينة المنورة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

(٣) وفاء الوفا، السمهودي ٢،٧٢٩، ٧٣٠. ومجتمع المدينة، ابن إدريس ١٧٣.

(٤) وفاء الوفا، السمهودي ٢، ٧٣٢. ومجتمع المدينة، ابن إدريس ١٧٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مسعود الهذليين الخطة المشهورة بهم عند المسجد في مؤخرته، وأقطع الزبير بن العوام بقيعاً واسعاً، وجعل لطلحة بن عبيدالله موضع دوره[١]. ومع استمرار تدفق المهاجرين[٢]؛استمر النبي ﷺ في إقطاع المهاجرين خلف منازل منازل أولئك فيما عرف لاحقاً بظاهر المسجد[٣]، وهي منازل أبعد من الأولى .

ولم تخلُ هذه المنطقة المركزية (باطن المدينة) من وجود دور لبعض الأنصار من الخزرج، وخاصة من بني ساعدة وبني النجار أخوال النبي ﷺ (أخوال جده عبد المطلب)، حيث كانت دورهم تشكل مايشبه الطوق حول المسجد النبوي[٤]، ومن المعلوم أن النبي ﷺ حين انتقل من قباء إلى المدينة نزل عند أخواله بني النجار، في دار أبي أيوب الأنصاري (خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة النجاري ﷺ)، وبقي عنده حتى بُني مسجده وحجر أزواجه ﷺ[٥]، وكان لطلحة بن أبي طلحة الأنصاري حشاً (نخل صغار لايسقى) كان ينعطف على المسجد من جهة الشمال[٦] .

على أن معظم المهاجرين ظلوا نازلين في خطط الأنصار بعالية المدينة وبقباء كل على من نزل عنده[٧]، فالمقداد بن عمرو وخباب بن الأرت كانا نازلين على كلثوم بن الهدم في قباء، ولم يبرحا منزله حتى

(٥) وفاء الوفا، السمهودي ٢، ٧١٨ .

(٦) السيرة النبوية، ابن هشام ٢، ٤٩٩ .

(٧) مجتمع المدينة، ابن إدريس ١٧٣ .

(٨) تاريخ الخميس، الديار بكري ٢،٣٤١ ،دار صادر ومؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٢٨٣هـ. ومجتمع المدينة،ابن إدريس ١٥٩ .

(١) السيرة النبوية، ابن هشام ٢، ٤٩٦ – ٤٩٩ .

(٢) وفاء الوفا، السمهودي ٢،٧٢٧ . ومجتمع المدينة، ابن إدريس ١٧٢، ١٧٣ .

(٣) انظر منازل بعض من كان هناك في السيرة النبوية، ابن هشام ٢،٤٧٧ -٤٧٩، ٤٩٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

توفي قبل بدر بيسير، ثم نزلا على سعد بن عبادة، فلم يزالا عنده حتى فتحت بنو قريظة[١]، وكان أبو بكر نازلاً على خارجة بن زيد بالسنح بعالية المدينة، وتزوج ابنته، ولم يزل فيهم حتى توفي رسول الله ﷺ[٢].

هذا فيما يخص المنطقة المركزية وهي منطقة المسجد وما حولها، فقد كانت من أكثر المناطق تخلخلاً سكانياً وقدرة على استيعاب نزلاء جدد[٣].

أما المناطق الأكثر اكتظاظاً بالسكان والأقل قدرة على استيعاب نزلاء جدد فهي المناطق الواقعة في أطراف المدينة وبخاصة مناطق قباء والعصبة والعالية؛ وذلك لوفرة المياه بها بسبب الشبكة الجيدة من الأودية التي تتخللها، مثل وادي مهزور من الشرق، ووادي مذينيب من الجنوب الشرقي، ووادي رانوناء من الجنوب، وجزء من وادي بطحان، حيث يلتقي بتلك الأودية في اتجاهه نحو الشمال الغربي للمدينة[٤]، وتعد منطقة قباء امتداداً لمنطقة العالية ولاتختلف عنها كثيراً، ومنطقة العصبة امتداداً لمنطقة قباء نحو الغرب[٥]. كما أن المنطقة الواقعة في سافلة المدينة التي يلتقي عندها وادي العقيق بوادي بطحان ووادي قناة هي من أكثر قرى المدينة في وفرة المياه وخصوبة الأرض[٦].

ولهذا فإن النبي ﷺ نزل أول مقدمه المدينة في منطقة قباء، ومكث

---

(٤) الطبقات، ابن سعد ١٦٦، ١٦٥، ٣. ومجتمع المدينة، ابن إدريس ١٧٠.

(٥) الطبقات، ابن سعد ٣، ١٧٤. ومجتمع المدينة، ابن إدريس ١٧٠.

(٦) مجتمع المدينة، ابن إدريس ١٦٨.

(١) السابق ١٥٢.

(٢) السابق ١٥٦.

(٣) السابق ١٦٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فيها مدة [١]، ثم لما رأى أن المكان غير ملائم لاستيعاب نزلاء جدد، تحول عنه إلى باطن المدينة، حيث بنى مسجده وحجر نسائه، وأقطع بعض أصحابه المهاجرين أراض فضاء حول المسجد[٢] . في حين أن أغلب الأنصار بقوا في خططهم ومنازلهم التي كانوا فيها قبل الهجرة[٣]، على أن بعضهم رغب في القرب من المسجد فتحول قريباً منه . ومن خطط الأنصار المعروفة في تلك الفترة :

الأوس كان الأوس ينزلون عالية المدينة بجوار يهود بني قريظة على وادي مهزور ويهود بني النضير على وادي مذينيب قبل إجلائهم جميعاً، في شرق وجنوب المدينة، وهي من أفضل مناطق المدينة في غزارة المياه وخصوبة الأرض[٤]، ومن قبائلهم :

١ - **بنو حارثة وبنو عبد الأشهل وبنو ظفر**، وكانت هذه القبائل تشغل معظم الطرف الغربي لحرة المدينة الشرقية المعروفة بحرة واقم، ينزل بنو عبد الأشهل طرفه الجنوبي، وبنو حارثة طرفه الشمالي، وبنو ظفر وهم أكبرهم داراً في الوسط، وتمتد منازلهم إلى الجهات الغربية لمنازل بني عبد الأشهل[٥] .

٢ - **بنو معاوية**، وتقع منازلهم غربي منازل بني عبد الأشهل وبني ظفر، وفيها مسجدهم (مسجد بني معاوية) المعروف حالياً بمسجد الإجابة، والواقع شمالي البقيع[٦] .

---

(٤) السيرة النبوية، ابن هشام ٢، ٤٩٤ . والطبقات، ابن سعد ١، ٢٣٦ .

(٥) وفاء الوفا، السمهودي ٢، ٧١٨ . و مجتمع المدينة، ابن إدريس ١٦٧ - ١٦٩ .

(٦) مجتمع المدينة، ابن إدريس ١٥١ .

(١) السابق ١٥٢، ١٥٥، ١٥٦ .

(١) السابق ١٥٣، ١٥٤ .

(٢) السابق ١٥٤ . والمدينة بين الماضي والحاضر، العياشي ٢٩٧، مكتبة الثقافة، ط٢، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٣ - **بنو واقف وبنو السلم وبنو وائل وبنو أمية وبنو عطية وبنو خطمة**، وتقع منازلهم إلى الجنوب من منازل من تقدم من الأوس، وتحديداً في أطراف العالية من جهة الشرق، شرقي المسجد المعروف حالياً بمسجد الفضيخ المعروف بمسجد الشمس، وقد سُمي بهذا الاسم لارتفاع موقعه وطلوع الشمس عليه أول شروقها، ((إلاّ أننا لم نستطع تحديد منازلهم بدقة أكبر، إلا أن تلك النواحي كلها ديار الأوس))[١] .

٤ - **بنو عمرو بن عوف**، وتقع منازلهم تحديداً في منطقة قباء، وهي كثيرة المياه والزروع، تطوقها عدة أودية : مذينيب من الشرق، وبطحان من الشمال، ورانوناء من الغرب[٢] .

٥ - **بنو جحجبا**، وقد كانوا يسكنون منطقة قباء مع بني عمرو بن عوف، إلى أن وقعت بين الطرفين خصومة انتقل على إثرها بنو جحجبا فسكنوا العصبة، ومنطقة العصبة تعتبر امتداداً لمنطقة قباء نحو الغرب، وهي غنية بالمزارع والآبار كسائر منطقة قباء[٣].

الخــزرج

كانت مناطق الخزرج تغطي باطن المدينة، بجوار يهود بني قينقاع قبل إجلائهم، أو فيما يعرف بسافلة المدينة، مقابل عالية المدينة التي تقدم ذكرها عند الحديث على منازل الأوس، وتمتد مناطقهم إلى الجهات الشمالية والغربية من المدينة، وتعد مناطق الخزرج أقل خصوبة من المناطق التي يسكنها الأوس، إلاّ طرف الحرة الغربية المعروفة بحرة الوبرة من جهة الغرب حيث يلتقي وادي

- ١٩٩٤م .والدر الثمين، غالي الشنقيطي ١٥٣ .

(٣) مجتمع المدينة، ابن إدريس ١٥٥ . وآثار المدينة، الأنصاري ١٣٧، ١٣٨ .

(٤) مجتمع المدينة، ابن إدريس ١٥٦ .

(٢) السابق .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

العقيق بوادي بطحان ووادي قناة فإنها ذات وفرة في المياه[١]، ومن قبائلهم :

١ - **بنو الحارث وبنو سالم وبنوغنم وبنو الحبلى**، أما بنوسالم وبنو غنم فمنازلهم غربي وادي رانوناء، في الحرة الواقعة جنوب وغرب قلعة قباء المعروفة حالياً، وبنو سالم هم الذين صلى فيهم رسول الله ﷺ الجمعة حين أدركته الصلاة في طريق هجرته من قباء إلى المدينة، أما دار بني الحبلى فغير بعيدة من دار بني سالم، إلى الغرب من وادي بطحان، ومتداخلة في منازل بني سالم بن عوف، بين قباء وبين دار بني الحارث، ودار بني الحارث شرقي وادي بطحان وتسمى السنح، وفيهم كان نازلاً أبو بكر الصديق رضي الله عنه[٢] .

٢ - **بنو بياضة وبنو زريق وبنو حبيب وبنوعذارة وبنو اللين وبنوأجدع**، والعدد والعدة كانت في بني بياضة وبني زريق، ودار بني بياضة في شمال دار بني سالم بن عوف، أي شمال قلعة قباء الحالية وما يليها من الشرق، جنوب دار بني مازن بن النجار، ودار بني مازن جنوب بئر البُصَّة، وبئر البصة قريبة من البقيع على يسار السالك إلى قباء، أما بنو زريق فيشغلون الجهات الغربية لمنازل بني مازن والجهات الشمالية لمنازل بني بياضة[٣].

٣ - **بنوساعدة وبنو النجار**، وتقع دورهم في مركز الوسط أو باطن المدينة، حيث تشكل مايشبه الطوق حول المسجد النبوي[٤] .

٤ - **بنو سلمة**، وتمتد منازلهم من الجهة الشمالية الغربية لجبل

---

(٣) السابق ١٥٦، ١٦٦ .

(١) الساب ق ١٥٧ .

(٢) السابق ١٥٧ -١٥٩ . والمدينة بين الماضي والحاضر، العياشي ١٣١ .

(٣) مجتمع المدينة، ابن إدريس ١٥٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

سلع إلى أن تنتهي بطرف الحرة الغربية من جهة الغرب، وتغطي في معظمها الجهات المعروفة قديماً باسم يثرب، وكانت تعد من أهم قرى المدينة[١] .

وهكذا ((فإن خطط الأنصار لم يطرأ عليها تغيير جذري بعد الهجرة إلاّ تعديل طفيف بسبب نزول المهاجرين عليهم في باطن المدينة خاصة وما أحدثه ذلك من تنظيم الخطط وتحويل فعالية النشاط العام إلى مركز المدينة))[٢]. ((ولم تكن منازل القبائل تخضع لحدود مرسومة بالمعنى المفهوم، إذ أن الأمر كان يخضع لقلة وكثرة تزايد القبيلة، فكلما ازدادت حجماً بحثت لها عن متسع من الأرض بأي وسيلة، وذلك يعني إمكانية تداخل منازل القبائل مع بعضها، أو على الأقل إحاطة بعضها ببعض من جهة أو أكثر))[٣].

((كما أن القبائل القاطنة في باطن المدينة قد يكون لبعضها أموال وتحصينات في أطراف المدينة، وقد تكون تلك الأموال داخل دور قبيلة أخرى، وخصوصاً أن القبائل حين ذاك كانت تتعامل بالحصون والآطام، وكانت أشياءً منقولة، فقد تجعل دية القتيل من القبيلة الأخرى أطماً في منازلها))[٤].

((وكان الرسول ﷺ يقطع بعض المهاجرين في خطط الأنصار ... ولهذا يمكن القول أن خطط القبائل في المدينة على عهد رسول الله ﷺ لم تكن قبلية خالصة، بمعنى أن الخطة لايسكنها إلا القبيلة نفسها، فقد نزل كثير من المهاجرين في خطط الأنصار... ولذلك من النادر أن يقال

---

(٤) السابق ١٦٤ .

(٥) السابق ١٥١.

(١) السابق ١٥٩، ١٥٨ .

(٢) السابق ١٦٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

خطة بني فلان، حيث كان من الشائع أن يقال مثلاً : دار آل عمر، أو حي من أحياء العرب))[١].

((ويبدو أن تكوين دار القبيلة أو خطتها كان يبدأ على شكل قطيعة فردية لأحد النابهين في القبيلة، حيث تتجمع حولها دور بقية الناس من القبيلة وحلفائها))[٢].

ومن هنا يمكننا القول أن البناء في الفترة موضوع الدراسة بقي منتشراً في العالية وقباء والعصبة ويثرب القديمة على ماكان عليه قبل الهجرة، وانتشر بعد الهجرة في الأجزاء المحيطة بالمسجد النبوي[٣]، من البقيع شرقاً إلى سوق المدينة غرباً، الذي اختطه النبي ﷺ بنفسه، وهو المعروف حالياً بالمناخة[٤]، ويبدو أن مكتبة الملك عبد العزيز حالياً وما كان على سمتها شمالاً وجنوباً هي اليوم في موقع السوق قديماً، ومن سقيفة بني ساعدة شمالاً، وهي اليوم في منطقة العمران الجديد الواقعة بين الحرم النبوي والطريق الدائري الأول المحيط بالمسجد من جهة الشمال، غرب طريق الملك فهد وما سامته إلى الحرم، إلى بداية قباء والعالية جنوباً[٥] .

---

(٣) السابق ١٧١ بتصرف .

(٤) السابق .

(١) السابق ١٧٥ .

(٢) آثار المدينة، الأنصاري ١٥٩، ١٦٠ .

(٣) التاريخ الشامل، عبد الباسط بدر ١، ٢٤٩، ٢٥٠ . ويرى المؤلف أن هذه الحدود كانت في العام العاشر الهجري، وأرى أنها كانت قريباً من ذلك منذ العام الخامس الهجري ؛ بسبب انحسار مد الهجرة ابتداءً من العام الخامس الهجري حين كان النبي ﷺ يحث القبائل التي تفد على المدينة للبيعة على العودة إلى ديارها مع تمتعها بفضيلة الهجرة، إلى أن تم وقف الهجرة رسمياً في العام الثامن الهجري حين قال النبي ﷺ « لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » ، علماً بأن مابين غزوة الخندق وفتح مكة ثلاثة وعشرون شهراً فقط، وهذا يعني أن تدفق المهاجرين على المدينة إنما كان يتم معظمه في تلك الفترة قبل المنع ، ولايعني ذلك أن المدينة توقفت

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إلا أن أجزاءً من المدينة لم يكن البناء والعمران فيها منتشراً بشكله الواسع[١]، وكثير من هذه المواضع عبارة عن حرات وجبال وبساتين، وهي تشكل مع دور المدينة شبكة من التحصينات الطبيعية حول المنطقة المركزية (المسجد النبوي وما حوله) وبخاصة من الجهات الجنوبية والشرقية وأطراف من الغربية والشمالية[٢]، وبقيت منطقة مكشوفة في شمال غرب المدينة ليس بها أحد من السكان، كما أنها غير محصنة، ومن السهولة دخول الأعداء منها لغزو المدينة، فجبل سلع الذي لم يكن يبعد كثيراً عن الخطة المعمورة حول المسجد النبوي لم يكن قد وصل إليه البناء والعمران قبل غزوة الخندق، وكان بعض جواري الأنصار يسرحن بأغنامهن في أطرافه[٣]، ولهذا لجأ المسلمون في العام الخامس الهجري إلى حفر الخندق لسد تلك الثغرة وإكمال تحصين المدينة، فلو لم تكن المنطقة خالية من السكان والتحصينات ومكشوفة للأعداء لما احتاجت إلى إقفالها بالخندق، في حين أن باقي جهات المدينة حول المسجد كانت مغلقة ومحصنة بالأبنية المتشابكة حوله والحرات والجبال والبساتين، مما يعني أن خطط القبائل في هذه الجهات مما يلي الخندق إنما جاءت بعد هذا التاريخ[٤].

عدد السكان

ولا يوجد إحصاء دقيق لعدد السكان في المدينة في تلك الفترة إلا أن عدد المسلمين

عن استقبال مهاجرين جدد خلال تلك الفترة، وإنما تقلصت أعدادهم بعدها بشكل ملحوظ، أما عن تزايد أعداد المشاركين في المعارك إلى جانب الرسول ﷺ في الفترة اللاحقة فهؤلاء كانوا يلتحقون بالجيش الإسلامي من البوادي لا أنهم كانوا يقيمون في المدينة.

(٤) مجتمع المدينة، ابن إدريس ١٧٥.

(١) التاريخ الشامل، عبد الباسط بدر ١،٢٤٩، ٢٥٠.

(٢) مجتمع المدينة، ابن إدريس ١٧٥، ١٧٦.

(٣) السابق ١٧٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

في الخندق كان ثلاثة آلاف مقاتل[١]، إضافة إلى حوالي تسعمائة مقاتل من يهود بني قريظة هم آخر من بقي من يهود المدينة[٢].

واستناداً إلى دراسة تقدر أعداد السكان في المدينة عند وفاة النبي ﷺ بنحو ثلاثين ألفاً[٣]، ودراسة أخرى تقدر عدد المساكن فيها في العام العاشر الهجري مابين ألفين وألفين وخمسمائة منزل[٤]، يمكننا تقديرعدد أفراد كل منزل بنحو اثني عشر فرداً للمنزل الواحد، أي بمعدل عائلتين في كل منزل إذا اعتبرنا متوسط أعداد كل عائلة ستة أفراد فقط.

وعليه فإننا نتوقع أن أعداد السكان داخل المدينة وفي أطرافها في الفترة موضوع الدراسة كانت تتراوح مابين خمسة عشر وخمسة وعشرين ألف نسمة. إلا أن هذه الأعداد تظل تقريبية تفتقر إلى الدقة والثقة المطلقة، إلا أن الحقائق التي لاتقبل الشك هي أن أعداد الأنصار في تلك الفترة كانت تفوق أعداد المهاجرين قال الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه في حديثه عن غزوة المريسيع التي لم يكن بينها وبين غزوة الخندق في العام الخامس الهجري إلا شهران : ((وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة، ثم إن المهاجرين كثروا بعد))[٥]، وكانت أعداد الخزرج من الأنصار تفوق أعداد الأوس، إلا أن هذه المعادلة قد تغيرت في الفترة اللاحقة مع استمرار تدفق المهاجرين على المدينة رغم محاولات الحد منها التي كان يبذلها النبي ﷺ حتى فاقت أعداد المهاجرين في المدينة أعداد السكان الأصليين في نهاية عصر السيرة كما تذكر

(٤) السيرة النبوية، ابن هشام ٣، ٢٣١ .

(٥) السابق ٣، ٢٥٢ .

(١) التاريخ الشامل، عبد الباسط بدر ١، ٢٤٢، ٢٤٣ .

(٢) السابق ١، ٢٥١ .

(٣)صحيح البخاري ٨، ٥١٧(٤٩٠٥) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إحدى الدراسات[١] .

وهكذا بدت أحوال المدينة السكانية قبيل غزوة الخندق عبارة عن أخلاط من المهاجرين والأنصار واليهود والمنافقين، تنتشر على رقعة واسعة من الأرض، وتشكل كتلاً عمرانية متباعدة في أطراف المدينة وفي وسطها في الحرة الغربية (الوبرة) حيث الخزرج من الأنصار، وفي قباء والعصبة والعالية في جنوب وشرق المدينة، حيث الأوس من الأنصار وبنو قريظة من اليهود، أما في وسط المدينة حيث المسجد النبوي فتنتشر حوله بيوت المهاجرين وبعض بيوت الخزرج من الأنصار .

ولم تكن هذه الكتل العمرانية تحوي فئة خالصة دون أخرى وإنما يكون بينها أفراد أو مجموعات صغيرة من فئات أخرى، وكان يفصل بين هذه الكتل العمرانية أراض فضاء أو بيوت مهجورة تركها أهلها كبني قينقاع وبني النضير أو حرات أو بساتين أو جبال، وكانت كتلة المسجد النبوي من أكثر الكتل نمواً، وتمتد حدود هذه الكتلة في الفترة موضوع الدراسة من أطراف البقيع شرقاً إلى أطراف سوق المدينة غرباً ومن أطراف بني ساعدة شمالاً إلى بداية قباء والعالية جنوباً، وكانت أعداد السكان تتراوح ما بين خمسة عشر إلى خمس وعشرين ألف نسمة في بعض التقديرات .

(٤) السابق ١، ٢٤٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة